علم الله تعالى بين الإثبات والإنكار (أهل السنة ، والجهمية أنموذجاً).

البهلول محمد حسين سالم

قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية –جامعة الزيتونة

المستخلص

لله أسماء وصفات فاسم العليم يتضمن صفة العلم، و لا فرق بين صفات الله، ولا يمكن تشبيه الخالق بالمخلوق، وقد ظهرت فرق ضالة تنفي صفات الله الأزلية كالعلم ، والقدرة ،والحياة ، والسمع، والبصر، والجهمية من بين هذه الفرق الفلسفية التي أضلت غيرها في تأويلها لآيات الله، و كذلك المعتزلة الذين قالوا إن الله عز وجل يعلم جمل الأشياء ولا يعلم تفاصيلها ، و قد نفى الجهميون صفات الله تعالى ، ولهم عقائد أخرى مخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة . أما أهل السنة فيؤمنون بكل صفات الله سبحانه وتعالى، ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها و أبطلوها ، وخاصة تلك التي أدت إلى تعطيل النصوص، فيجب على المسلمين الإيمان بالله وبصفاته كما وصف بها نفسه دون تشبيه أو تجسيم أو تعطيل.

كلمات مفتاحية علم الله ، الاعتقاد، الإنكار ، أهل السنة، الجهمية.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من أعظم ما يقوي الإيمان ويجلبه معرفة أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، والحرص على فهم معانيها، والتعبد لله بها قال اللَّه تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : 180] .

إن من فضل الله ونعمته على أهل السنة أن وفقهم للعمل بكتابه وسنة رسوله صلى الله صلى، فالهداية والنور والحق إنما هي في الكتاب والسنة، فالله يقول في شأن كتابه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ

أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء ،الآية 9] لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأبلغ بها أمته، ولا يستطيع أحدٌ أن ينكرها ، ومن أنكرها قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها.

مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنى هو مذهبهم في الصفات عموماً. وذلك أن أسماء الله سبحانه وتعالى دالة على صفات كماله، وهي مشتقة من الصفات، فهي أسماء و أوصاف، وبذلك كانت حسنى

والذي درج عليه سلف الأمة ومن تابعهم بإحسان واتفقوا عليه هو الإقرار والتصديق بآيات الأسماء والصفات وأحاديث النبي صل الله عليه وسلم ، والاعتقاد بها كما جاءت وإثباتها، دون تشبيه، أو تعطيل، أو تحريف، أو تأويل.

إن في جانب الأسماء والصفات نجد كماً هائلاً من المصطلحات والمفاهيم التي اختلف المسلمون في تعريفها ، ضيقاً وسعة بحسب أهميتها ودورها في تحريك الأحداث أو تصنيف الجماعات أو الأفراد، وأبرز هذه المصطلحات تداولاً بعد ظهور الفرق هي الإيمان والكفر، والنفاق والفسق، أعقب ذلك النظرُ في قضية المعرفة عموماً وارتباطها الوثيق بالعقيدة والفكر الإسلامي، من حيث ضرورتها وكونها لازماً من لوازم هذا الدين ، ووجوب الاجتهاد في المعرفة ، ونبذ التقليد ومحاربته، وإدانة الجهل بالله عن طريق العقل والنقل ، واجماع قضية العلم وقضية الإيمان في الوصول إلى حقيقة الإيمان، لكون العقل والوجدان طريقين موصلين إلى الله، وما اختلاف هذه الأمة إلا بسبب تقليدها الأعمى للأعداء في العقائد الفاسدة الواردة عليها من الشرق والغرب ، والآباء في العادات والتقاليد لقد قالت بعض الفرق بالجبر واعتقدت فيه، وجعلته جزءاً من عقائد الاسلام، ومنها من قال بالتشبيه وبالتجسيم، واختلطت في مسألة الصفات كثير من المفاهيم المغلوطة التي لم يكن لها أساس في الدين والعقيدة الإسلامية بسبب إدخال الفلسفة القديمة ، والجدل حول اللاهوت والناسوت عند النصارى في المجتمع الاسلامي، وخاصة في الشام ومصر والمغرب الإسلامي؛ فنتج عن ذلك الجدل في الاسم والمسمى والصفة والموصوف ، وحقيقة الصفات وعددها ومراتبها.

وقد تم تقسيم هذه الدراسة على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: يتناول صفة علم الله ،و الفرق بين علم الله وعلم الإنسان.

المبحث الثاني : يتناول الفرق التي أنكرت علم الله .

المبحث الثالث : يبحث في علم الله عند أهل السنة والجماعة .

تساؤلات الدراسة:

1. ما المقصود بالعلم ؟
2. ماهي آراء أهل السنة في صفة العلم ؟
3. هل كانت صفة العلم الإلهي عند الجهمية متطابقة مع آراء أهل السنة؟

أهداف الدراسة:

1. تهدف هذه الدراسة إلى توضيح صفة العلم الإلهي عند أهل السنة والجماعة
2. كما تهدف إلى إبراز إسهام الفقهاء في الرد على أقوال الجهمية والمبتدعة والفِرَق التي أنكرت علم الله.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في توضيح وتبيان أخطاء وضلالات الجهمية وعلماء الكلام فيما يتعلق بصفة من صفات الله سبحانه وتعالى.

والله وليُ التوفيق

العلم في اللغة

العِلْمُ: نقيضُ الْجَهْلِ، عَلِم عِلْماً وعَلُمَ هُوَ نَفْسُه، وَرَجُلٌ عالمٌ وعَلِيمٌ مِنْ قومٍ عُلماءَ فِيهِمَا جَمِيعًا. قَالَ سِيبَوَيْهِ: يَقُولُ عُلَماء مَنْ لَا يَقُولُ إِلَّا عالِماً. قَالَ ابْنُ جِنِّي: لَمَّا كَانَ العِلْم قَدْ يَكُونُ الْوَصْفُ بِهِ بعدَ المُزاوَلة لَهُ وطُولِ المُلابسةِ صَارَ كَأَنَّهُ غريزةٌ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى أَوَّلِ دُخُولِهِ فِيهِ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ مُتعلِّماً لَا عالِماً، فَلَمَّا خَرَجَ بِالْغَرِيزَةِ إِلَى بَابِ فَعُل صَارَ عالمٌ فِي الْمَعْنَى كعَلِيمٍ، فكُسِّرَ تَكْسِيرَه، ثُمَّ حملُوا عَلَيْهِ ضدَّه فَقَالُوا جُهَلاء كعُلَماء، وعَلّامٌ وعَلّامةٌ إِذَا بَالَغْتَ فِي وَصْفِهِ بالعِلْم أَيْ عَالِمٌ جِداً...وعَلِمْتُ الشيءَ أَعْلَمُه عِلْماً: عَرَفْتُه (ابن منظور ، د.ت ،417/12).

علم: مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ العَلِيم والعالِمُ والعَلَّامُ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ، وَقَالَ: عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ، وَقَالَ: عَلَّامُ الْغُيُوبِ، فَهُوَ اللهُ العالمُ بِمَا كَانَ وَمَا يكونُ قَبْلَ كَوْنِه، وبِمَا يكونُ ولَمَّا يكُنْ بعْدُ قَبْل أَنْ يَكُونَ، لَمْ يَزَل عالِماً وَلَا يَزالُ عَالِمًا بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ خافيةٌ فِي الأَرض وَلَا فِي السَّمَاءِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أحاطَ عِلْمُه بِجَمِيعِ الأَشياء باطِنِها وظاهِرِها دقيقِها وجليلِها عَلَى أَتَمِّ الإِمْكان. وعَلِيمٌ، فَعِيلٌ: مِنْ أَبْنِيَةِ الْمُبَالِغَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ للإِنسان الَّذِي عَلَّمه اللهُ عِلْماً مِنَ العُلوم عَلِيم، كَمَا قَالَ يُوسُفُ للمَلِك: إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ(ابن منظور ، د.ت ،417/12)

الْعَلِيم والعالم بِمَعْنى وَاحِد وفعيل وفاعل يَشْتَرِكَانِ فِي كثير من الصِّفَات، قَالُوا ضريب وضارب وعريف وعارف... الْعَلِيم فِيهِ صفة زَائِدَة على مَا فِي الْعَالم.(الزجاج، 39،1431 /19).

قول القائل من العرب: العليم والعالم صفتان مشتقان من العلم. فالعالم اسم الفاعل من علم يعلم فهو عالم، والعليم من أبنية المبالغة في الوصف بالعلم وهو بمنزلة قدير من القادر.(الزجاجي ،1463هـ، ص50).

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: " شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ"؛ قَالَ أَبو عُبَيْدَةَ: مَعْنَى شَهِدَ اللَّهُ قَضَى اللَّهُ أَنه لَا إِله إِلا هُوَ، وَحَقِيقَتُهُ عَلِمَ اللهُ وبَيَّنَ اللهُ لأَن الشَّاهِدَ هُوَ الْعَالِمُ الَّذِي يُبَيِّنَ مَا عَلِمَهُ .(ابن منظور ، د.ت ،3/239).

... «عليم» .. من مدح الذات بالعلم وأنها مخالفة لذات ما يجهل أو يجوز عليه الجهل لا أنه يراد به إيقاع الفعل.(الزجاجي ،1463هـ، ص51)

صفة العلم

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18] ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ، الآية 231] .

فهو العليم المحيط علمه بكل شيء: بالواجبات، والممتنعات، والممكنات، فيعلم تعالى نفسه الكريمة، ونعوته المقدسة، وأوصافه العظيمة، وهي الواجبات التي لا يمكن إلا وجودها، ويعلم الممتنعات حال امتناعها، ويعلم ما يترتب على وجودها لو وجدت.

ويعلم تعالى الممكنات، وهي التي يجوز وجودها وعدمها، ما وجد منها وما لم يوجد مما لم تقتض الحكمة إيجاده، فهو العليم الذي أحاط علمه بالعالم العلوي والسفلي، لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان، ويعلم الغيب والشهادة، والظواهر والبواطن، والجلي والخفي. قال الله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 231- 232]﴾ (آل سعدي، 1421 هـ ، ص194)

"العليم" ومن صفته العلم، فلا يجوز قياساً عليه أن يسمى عارفاً لما تقتضيه المعرفة من تقديم الأسباب التي بها يتوصل إلى علم الشيء وكذلك لا يوصف بالعاقل(التميمي 1419هـ)

فله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه معنى وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص فله من صفة الإدراكات العليم الخبير دون العاقل الفقيه(ابن قيم الجوزية، 1431ه ، 1/186)

وصف الله نفسه بالتعليم، ووصف عبده بالتعليم، فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: الآيات1-4] ، وقال: ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ﴾ [المائدة: الآية 4] (القحطاني، الرياض،1433 ه، ص62)

وقد يكون حكيم بمعنى عليم لأن الفاعل للأشياء المتقنة المحكمة لا يجوز أن يكون جاهلاً بها. فيكون «حكيم» على هذا بتأويل المبالغة في الوصف بالعلم والحكمة. .(الزجاجي ،1463هـ، ص60).

يقول الزجاجي في اسم البصير : (البصير في اللغة على أضرب، البصير: العليم بالشيء الخبير به كقولهم: فلان بصير بالطب، وبصير بالفقه....فالله عز وجل بصير أي عالم بالأشياء خبير بها كأنه بمنزلة عليم في التقدير .) (الزجاجي ،1463هـ، ص65).

وفي أسمائه العليم، ومن صفته العلم فلا يجوز قياساً عليه أن يسمى عارفاً لما تقتضيه المعرفة من تقديم الأسباب التي بها يتوصل إلى علم الشيء وكذلك لا يوصف بالعاقل (آل سعدي، 1421 هـ ، ص160) .

الحسيب: هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر بحسب حكمته وعلمه بدقيق اعمالهم وجليلها (آل سعدي، 1421 هـ ، ص182).

ينبغي أن يعتقد المؤمن اعتقاداً راسخاً بعلم الله تعالى؛ لأن هذا الاعتقاد يجعل الإنسان متيقناً بأن الله تعالى يراه ويراقبه حيثما حل وارتحل، وهذا الأمر له بالغ الأثر في سلوك المؤمن وأخلاقه، و أهل السنة والجماعة يقولون: إن الله بكل شيء عليم، إن علم الله تعالى يشمل الماضي والحاضر، وكل ما سيحدث في المستقبل سواء كان في الدنيا أو الآخرة بما في ذلك ما يتعلق بأهل الجنة وأمانيهم، وأهل النار وما يشعرون به قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة، الآية115)، وقوله تعالى:﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة الآية 23]. وقوله تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك،الآية14]، وقوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنبياء،الآية4].

وقال صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين: "الله أعلم بما كانوا عاملين"(صحيح مسلم رقم الحديث 6929) بيان لمذهب أهل الحق أن الله علم ما كان، وما يكون، وما لا يكون لو كان كيف كان يكون.

وكل اسم يتضمن صفة؛ فاسم الرحيم يتضمن: صفة الرحمة، واسم العليم يتضمن: صفة العلم، واسم الحكيم يتضمن: صفة الحكمة، وهكذا سائر الأسماء لله سبحانه وتعالى .ولا يمكن التحدث عن صفات الله بالكيفيات والتشبيه : (وإنما أُمرنا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير وإنما يقال كيف كان لمن لم يكن مرة ثم كان فأما الذي لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو.) (بن بطة العكبري ، د.ت،ص64).

وعظمة الخالق تعجز عقول المخلوقات عن وصفها (الدليل على عجز العقول على تحقيق صفته

عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه لا تكاد تراه صغرا يجول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر لما يتقلب به ويحتال من عقله أعضل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم وسيد السادة وربهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ، الآية 11] اعرف رحمك الله غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفته قدر ما وصف منها إذا لم تعرف قدر ما وصف فما كلفك علم ما لم يصف. (بن بطة العكبري ، د.ت،ص64)

قال الفخر الرازي في الأسماء الحاصلة بسبب العلم ، وفيه ألفاظ : الأول : العلم وما يشتق منه ، وفيه وجوه : الأول : إثبات العلم للّه تعالى ، قال تعالى : ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة ، الآية 255] ، وقال تعالى :﴿ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فصلت ، الآية ، 47] وقال تعالى : ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق، الآية ، 12] وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان ، الآية ، 34] الاسم الثاني : العالم ، قال تعالى :﴿ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الزمر ، الآية ، 46]الثالث : العليم ، وهو كثير في القرآن ، الرابع : العلام ، قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة ، الآية 109]الخامس : الأعلم ، قال تعالى : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام ، الآية ، 124]السادس : صيغة الماضي ، قال تعالى :﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة، الآية ، 187].السابع : صيغة المستقبل ، قال تعالى : ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ البقرة، الآية ، 197.

وقال : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل ، الآية ، 19] الثامن : لفظ علم من باب التفعيل ، قال تعالى :﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة ، الآية ، 31] وقال في حق الملائكة :﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة ، الآية ، 32]وقال : ﴿وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ (فخر الدين الرازي ،مفاتيح الغيب، 2000، ص130).

علـم الله:

يجب أن يعلم المسلم أن جميع صفات الله من باب واحد؛ إذ لا فرق بينها البتة ؛ لأن الموصوف بها واحد وهو جلّ وعلا ، لا يشبه الخلق في شيء من صفاتهم البتة، فكما أنكم أثبتم له سمعاً وبصراً لائقين بجلاله لا يشبهان شيئاً من أسماع الحوادث وأبصارهم، فكذلك يلزم أن تجروا هذا بعينه في صفة الاستواء والنزول والمجيء، إلى غير ذلك من صفات الجلال والكمال التي أثنى الله بها نفسه.

إن رب السموات والأرض يستحيل عقلاً أن يصف نفسه بما يلزمه محذور أو يلزمه محال أو يؤدى إلى نقص. كل ذلك مستحيل عقلا. فإن الله تعالى لا يصف نفسه إلا بوصف بالغ من الشرف والعلو والكمال ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين على حد قوله ﴿لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ، الآية 11]

ويجب أن يعلم الناس أن الصفات والذات من باب واحد؛ فكما أننا نثبت ذات الله جل وعلا إثبات وجود وإيمان لا إثبات كيفية مكيفة ، فكذلك نثبت لهذه الذات الكريمة المقدسة صفات إثبات إيمان ووجود لا إثبات كيفية وتحديد.

إلا أن ما وصف به خالق السموات والأرض منها أكمل وأجل وأعظم من أن يشبه شيئاً من صفات المخلوقين، كما أن ذات الخالق جل وعلا حق والمخلوقين لهم ذوات وذات الخالق جل وعلا أكمل وأنزه وأجل من أن تشبه شيئا من ذوات المخلوقين.

﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه ، الآية 7 ،8]

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد ، الآية 4]

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان ، الآية 34] ، وقال : ﴿ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الملك ، الآية 26]، وقال : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ﴾ [الاعراف ، الآية 117]، وقال: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ﴾ [طه ، الآية 52]، فكيف يحدث لله علم بكينونة الخلق وعلى علمه السابق فيهم خلقوا ، وبما كتب عليهم في أم الكتاب يعملون ، لا يزيدون مثقال حبة ولا ينقصون ، قال : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾ [القمر ، الآية 53]، وقال : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف ، الآية 4]، وقال : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد ، الآية 43]، وقال : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة ، الآية 36] ، وقال : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد ، الآية 22]، وقال ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ [فاطر ، الآية 11]،وقال : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج ، الآية 70]، وقال : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران ، 154]، فهل كتب هذه الأشياء قبل كينونتها إلّا للعلم بها قبل أن تكون ؟ (الموصلي ،1984،رقم 2329).

عن أَبي أُمامة الباهِلِي ، رضي اللهُ عنه قال : أَيها الناس ، لا يشتبه عليكم بأَن اللَّهَ علم علماً ، وخلق خلقاً ، فإِن كان العلم قبل الخلقِ فالخلق يتبع العلم ، وإِن كان الخلق قبل العلم فالعلم يتبع

الخلق. (الدارمي 1995م ،ص141).

وذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ [المجادلة ، الآية 6] وذلك يوم القيامة، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، ﴿ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ﴾ [المجادلة ، الآية 6] أي: يخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ أي: ضبطه الله وحفظه عليهم، وهم قد نسوا ما كانوا عليه، ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة ، الآية 6] أي: لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى ولا ينسى شيئًا، .. ثم قال تعالى مخبرًا عن إحاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم، وسماعه كلامهم، ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المجادلة ، الآية 7]. (ابن كثير 1999 م ، ج8، ص72.).

قال الله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد ، الآية 4] معناها أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه ، ألا ترى أنه قال في كتابه ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة ، الآية 7] أراد أنه تعالى لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا في شيء من خلقه، ولو كان الله شاهدا يحضر منهم ما علموا لم يكن في علمه فضل على غيره من الخلائق لأنه ليس أحد من الخلق يحضر أمرا ويشهده إلا علمه فلو كان الله حاضراً كحضور الخلق من الخلق في أفعالهم لم يكن له في علمه فضل على خلقه ولكنه تعالى على عرشه كما وصف نفسه لا يخفى عليه خافية خلقه. (بن بطة العكبري ، د.ت، ص144 ،147)

﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [سباء ،الآية 3].

قال مجاهد وقتادة: ﴿ لا يَعْزُبُ عَنْهُ ﴾ لا يغيب عنه، أي: الجميع مندرج تحت علمه، فلا يخفى عليه منه شيء، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت، فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة، فإنه بكل شيء عليم. (ابن كثير 1999 م ،ج6، ص437).

ذكر سبحانه بعض ما يحيط به علمه من أمور السموات ، والأرض ، فقال : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأرض ﴾ أي : ما يدخل فيها من مطر ، أو كنز ، أو دفين ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ من زرع ، ونبات ، وحيوان ﴿ وَمَا يَنزِلُ مِنَ السماء ﴾ من الأمطار ، والثلوج ، والبرد ، والصواعق ، والبركات ، ومن ذلك ما ينزل منها من ملائكته ، وكتبه إلى أنبيائه ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ من الملائكة ، وأعمال العباد . (الشوكاني ،د.ت ،ج6 ، ص88).

قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا

بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف ، الآية 109] يقول تعالى: قل يا محمد: لو كان ماء البحر مدادًا للقلم الذي تكتب به كلمات ربى وحكمه وآياته الدالة عليه، ﴿ لَنَفِدَ الْبَحْرُ ﴾ أي: [لفرغ البحر] قبل أن يفرغ من كتابة ذلك ﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ ﴾ أي: بمثل البحر آخر، ثم آخر، وهلم جرا، بحور تمده ويكتب بها، لما نفدت كلمات الله، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان الآية 27]قال الربيع بن أنس: إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها، وقد أنزل الله ذلك: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (ابن كثير 1999م،ج5،ص183).

وقوله ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى﴾ [الزخرف ، الآية 80] ، وقوله: ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء، الآية 15] وأشباه لهذا ونظائر في القرآن كثيرة كلها تجحدها الجهمية [1] وتأبي قبولها، وقد جاءت السنة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بما يوافق الكتاب قالت عائشة الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمته وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ (بن بطة العكبري ، د.ت، ص322،321).

لكنا نقول إن ربنا تعالى في أرفع الأماكن وأعلى عليين قد استوى على عرشه فوق سماواته وعلمه محيط بجميع خلقه يعلم ما نأى كما يعلم ما دنى ويعلم ما بطن كما يعلم ما ظهر كما وصف نفسه تعالى، فقال:﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام ، الآية 59] فقد أحاط علمه بجميع ما خلق في السماوات العلى وما في الأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ويعلم الخطرة والهمة ويعلم جميع ما توسوس النفوس به. (بن بطة العكبري ، د.ت، ص322،321).

الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بأنه يعلم خلقه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن ، الآية 1، 3] .

ومن الإيمان بالقدر خيره وشره ان يؤمن الانسان بأن الله قبل أن يخلق الخلق علم كل شيء جملة و تفصيلاً وكتبه في اللوح المحفوظ وخلق جميع الكائنات ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

[1] الجهمية هي فرقة تنتسب إلى جهم بن صفوان أحد المبتدعة الكبار ، والجهمية يردون الأحاديث الثابتة وينفون صفات الله تعالى كما ينفون رؤية ولهم عقائد أخرى مخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة.

وَكِيلٌ ﴾ [الزمر ،الآية62].

ولا يحدث في هذا الكون شيء إلا وقد علم الله حدوثه وأذن به قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر ، الآية 49].

جعل الله صفة الإيمان بالغيب أول صفة للمتقين المهتدين بالقرآن والسنة وذلك حتى يوحد المؤمنون طريق التلقي فلا يتلقون غيباً إلا من الله ومن أقامه للأخبار بالغيب عنه وهم رسله، وأنبياؤه فقط.

قال الإمام مالك بن أنس – رضي الله عنه - : (الله في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لا يخلو من علمه مكان 1) وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات، الذين اتفق السلف والأئمة على تضليلهم وتبديعهم، وطائفة أخرى من السلفية؛ كنعيم بن حماد الخزاعي والبخاري (موسوعة الرد على الصوفية، ج2، ص61).

الفرق بين علم الله وعلم الإنسان

لقد فسر العلماء هذه الآية ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ [المجادلة الآية 7] إلى قوله ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ إنما عني بذلك علمه ألا ترى أنه قال في أول الآية ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ فرجعت الهاء والواو من هو على علمه لا على ذاته، ثم قال في آخر الآية ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة الآية 7) فعاد الوصف على العلم وبين أنه إنما أراد بذلك العلم وأنه عليم بأمورهم كلها. (ابن بطة العكبري ، د.ت، ص144).

أما ابن كثير فقد فسر قوله تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة الآية 7] قال ابن كثير في تفسير هذه الآية (أي: من سر ثلاثة ﴿ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ أي: يطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ورسله أيضًا مع ذلك تكتب ما يتناجون به، مع علم الله وسمعه لهم، كما قال: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [التوبة ، الآية 78] وقال ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف ، الآية 80] ؛ ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن

1 رواه الآجري " الشريعة " ص 289 ، وعبدالله بن الإمام أحمد في كتاب " السنة " رقم 11 (107/1) ، وابن قدامة في " إثبات صفة العلو " رقم 76 ص 186 ، واللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم 673 (401/2 ، والحافظ عبد الغني المقدسي في كتاب " الإقتصاد في الاعتقاد " ص 94 رقم 1] .

المراد بهذه الآية معية علم الله تعالى ولا شك في إرادة ذلك ولكن سمعه أيضا مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو، سبحانه، مطلع على خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء ، ثم قال: ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة الآية 7] قال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم، واختتمها بالعلم.) (ابن كثير 1999 م ،ج8، ص73).

ولو كان معنى قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أنه إنما علم ذلك بالمشاهدة لم يكن له فضل على علم الخلائق وبطل فضل علمه بعلم الغيب لأن كل من شاهد شيئا وعاينه وحله بذاته فقد علمه فلا يقال لمن علم ما شاهده وأحصى ما عاينه أنه يعلم الغيب لأن من شأن المخلوق أن لا يعلم الشيء حتى يراه بعينه ويسمعه بأذنه فإن غاب عنه جهله إلا أن يعلمه غيره فيكون معلما لا عالما والله تعالى يعلم ما في السماوات وما في الأرض وما بين ذلك وهو بكل شيء محيط بعلمه ﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن ، الآية 28]و ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق، الآية 12] .

وأما قوله : ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت ، الآية 54] فقد فسر ذلك في كتابه فقال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق ، الآية 12] فبين تلك الإحاطة إنما هي بالعلم لا بالمشاهدة بذاته فبين تعالى أنه ليس كعلمه علم لأنه لا يعلم الغيب غيره.

ويرى البعض أن الجهمية قد كفروا بقولهم إن الله لا يعلم الغيب فتفهموا الآن رحمكم الله كفر الجهمي لأنه يدخل على الجهمي أن الله تعالى لا يعلم الغيب وذلك أن الجهمي يقول إن الله شاهد لنا وحال بذاته فسار في كل شيء ذرأه وبرأه وقد أكذبهم الله تعالى فقال : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل ، الآية 56] فأخبر أنه يعلم الغيب. (بن بطة العكبري ، د.ت،ص145).

وقال تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد ، الآية 9] فوصف نفسه تعالى بعلم الغيب والكبر والعلو ووصفه الجهمي بضد ذلك كله فزعم أنه يعلم الأشياء بمشاهدته لها وصغره حتى زعم أنه يحل بنفسه في البعوضة وسفله فزعم أنه في الأرض السفلى.

قال تعالى : ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق الآية 3، 5] وقال : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء، الآية 113] ووصف بعض خلقه بصفة الفعل التي هي التعليم أيضا قال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾. [الجمعة ، الآية 2] وجمع المثالين في قوله: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة ، الآية 4]. ووصف نفسه جل وعلا بأنه ينبئ ووصف المخلوق بأنه ينبئ وجمع بين الفعل في

الأمرين في قوله جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم ، الآية 3]. ولا شك أن ما وصف الله به من هذا الفعل مخالف لما وصف به منه العبد كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق. (الدارمي 1995م ،ص140).

ووصف نفسه بالحلم قال: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج ، الآية 59] ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة ، الآية 235]

وقال تعالى : ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة ، الآية 109] والجهمي يزعم أنه لا يعلم الغيب وإنما أخبر عن صفات خلقه بحلوله فيها تعالى الله عما يقول الجهمي الملحد علوا كبيرا . (بن بطة العكبري ، د.ت، ص146].

وقوله: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الاسراء ، الآية 85] أي: من شأنه، ومما استأثر بعلمه دونكم؛ ولهذا قال: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الاسراء ، الآية 85]أي: وما أطلعكم من علمه إلا على القليل، فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى ،والمعنى: إن علمكم في علم الله قليل، وهذا الذي تسألون عنه من أمر الروح مما استأثر به تعالى، ولم يطلعكم عليه، كما أنه لم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى. ... وفي قصه النبي موسى أن الخضر نظر إلى عصفور وقع على حافة السفينة، فنقر في البحر نقرة، أي: شرب منه بمنقاره، فقال: يا موسى، ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر. أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وقال السهيلي: قال بعض الناس: لم يجبهم عما سألوا؛ لأنهم سألوا على وجه التعنت. وقيل: أجابهم، وعول السهيلي على أن المراد بقوله: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ أي: من شرعه، أي: فادخلوا فيه، وقد علمتم ذلك لأنه لا سبيل إلى معرفة هذا من طبع ولا فلسفة، وإنما ينال من جهة الشرع. وفي هذا المسلك الذي طرقه وسلكه نظر، والله أعلم. (ابن كثير 1999 م ،ج5، ص 107).

فمن آمن بكتاب الله ، وصدق رسل الله في علم الله السابق في الخلق وأعمالهم قبل أن يعملوها ، ومن يحصي ما في كتاب اللهِ ، وفي آثار رسول الله صلى اللهُ عليه وسَلم وأصحابه والتّابعين في إثبات علم اللهِ له والإقرار به ليتدبَّرها أهل العقول والأفهام فيعرفوا ضلالة هؤلاء الذين أخرجوا اللَه من العلم ونفوه عنه ، وجعلوه في العلم والمعرفة كالخلق سواءً ، فقالوا : كما لا يعلم الخلق بالشيء قبل أَن يكون ، فكذلك اللهُ بزعمهم لا يعلم قبل أَن يكون ، فما فضل علام الغيوب الذي يعلم السر وأَخفى

على المخلوقِ الذي لا يعلم شيئًا إلا ما علمهُ اللهُ.

إن المِلك البشري لا يعلم الجزئيات، وغير خبير بالخبايا، ولا يعرف تفاصيل أحوال الرعية، فينبغي أن يخبره أحد عن أحوالهم. والسؤال: أليس رب العالمين يعلم بالجزئيات وقلوب الناس ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة ، الآية 255] ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام ، الآية 59] الناس بعيدون عن المَلِك(الدنيوي) وهو بعيد عنهم لكن الله تعالى أقرب إلى العباد من حبل الوريد ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة ، الآية 186](شريعت سنگلجي ، ج1 ، ص 104).

يفرق ابن بطة بين رؤية وعلم البشر وبين علم الله فيقول :(وإنك لتجد في الصغير من خلق الله إنه ليرى الشيء وليس هو فيه بينه و بينه حائل فالله تعالى بعظمته وقدرته على خلقه أعظم، ألا ترى أنه يأخذ الرجل القدح بيده وفيه الشراب أو الطعام فينظر إليه الناظر فيعلم ما في القدح والله على عرشه وهو محيط بخلقه بعلمه فيهم ورؤيته إياهم وقدرته عليهم وإنما دل ربنا تعالى على فضل عظمته وقدرته أنه في أعلى عليين وهو يعلم الصغير التافه الحقير الذي هو في أسفل السافلين أي فليس علمه كعلمهم لأن الخلق لا يعلمون إلا ما يشاهدون والله عز وجل يتعالى عن ذلك وقد بين ذلك في كتابه فقال: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق،الآية12].

وقال تعالى ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾.[الملك، الآية 13] وقال : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود ، الآية 5] فرد ذلك كله إلى علم الغيب لا إلى المشاهدة والحلول في الصدور حتى يكون فيها وقال تعالى ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك ، الآية 14] فأخبر تعالى أن ذلك إنما هو بالخبر والعلم . (بن بطة العكبري ، د.ت، ص144 ،147)

وكما قال وصدق ابن المبارك ، إن من كلامهم في تعطيل صفات اللَه تعالى ما هو أوحش من كلام اليهود والنصارى. (الدارمي 1995م ،ص31).

يقول الدارمي عن الجهمية : (فهذه الأشياء التي نطق بكثير منها كتاب اللَه تعالى ، وصدقته الآثار عن رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلم ، وعن أصحابه والتابعين ، وليس هذا من العلم الذي يشكل على أَحد من العامة والخاصة ، إلا على هذه العصابة الملحدة في آيات الله ، لم يزل العلماء يروون هذه الآثار

، و يتناسخونها ، ويصدقون بها على ما جاءت ، حتى ظهرت هذه العصابة ، فكذبوا بها أجمع ، وجهلوهم ، وخالفوا أمرهم ، خالف اللهُ بهم) (الدارمي 1995م ،ص95).

يرد الدارمي على الجهمية فيقول :(ولكن إن كنتم محقين في تأويلكم هذا وما ادعيتم من باطلكم ، ولستم كذلك ، فأتوا بحديث يقوي مذْهبكم فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بتفسير تأثرونه صحيحًا عن أحد من الصحابة أَو التابعين كما أتيناكم به نحن لمذْهبنا ، وإلا فمتى نزلت الجهمية من العلم بكتاب الله وبتفسيره المنزلة التي يجب على الناس قبول قولهم فيه ، وترك ما يؤثر من خلافهم عن رسول اللَه صلّى اللهُ عليه وسلم ، وعن أصحابه ، وعن التابعين بعدهم ، هذا حدث كبير في الإسلام ، وظلم عظيم أَن يتبع تفسيركم كتاب الله بلا أثر ، ويترك المأْثور فيه الصحيح من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ، رضي الله عنهم. (الدارمي 1995م ،ص95).

الشر كل الشر في تشبيه الخالق بالمخلوق وتنجيس القلب بقذر التشبيه؛ فالإنسان المسلم إذا سمع صفة وصف بها الله أول ما يجب عليه أن يعتقد أن تلك الصفة بالغة من الجلال والكمال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينها وبين صفات المخلوقين فيكون أرض قلبه طيبة طاهرة قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنزيه على نحو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ، الآية 11].

هناك العديد من العلماء والفقهاء من رفض التأويلات الباطلة، وتصدى للمبتدعة النافين للصفات على سبيل المثال الإمام أحمد لم يكن فقط ملماً بأحكام الإسلام العملية وإنما برز في فهم عقائد الإسلام ومسائل الإيمان ولذلك تصدى بالرد لكل انحراف في عصره في العقيدة أو السلوك، فأنكر على رواد الصوفية في عصره الذين بدأوا يتكلمون في الوساوس والخواطر، ورد على الزنادقة، وحارب الجهمية النافين للصفات. (موسوعة الرد على الصوفية، ج12، ص213)

علم الله عز وجل ليس كعلم الآدميين، وهو يعرف الأشياء على حقائقها بغير استدلال ولا سبب عز وجل وعلا علوًا كبيرًا. فأما قول زهير:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عمي

فإنما أراد أن ينفي علم الغيوب عن نفسه، ولا يعلم الغيب إلا الله عز وجل. وإنما تلك أشياء قد جرى العرف والعادات بمعرفتها بالاستدلال والعلامات.(الزجاجي ،1463هـ، ص52)

الفرق التي أنكرت علم الله

ظهرت العديد من الفرق والمذاهب الكلامية والفلسفية ، وتطاولت في وصفها لذات الله يقول ابن

الجوزي: (وإن كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق وإن لم نحط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها وقد ظهر لنا من أصول الفرق الحرورية، والقدرية والجهمية والمرجئة والرافضة والجبرية وقد قال بعض أهل العلم أصل الفرق الضالة هذه الفرق الستة)(ابن الجوزي، د.ت ،ج1،ص 19)

الجهمية : أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان ، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط ، والكفر الجهل به ، وقال : لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز ، وأن علم الله حادث ، وأنكر صفات الله ، وأن كلام الله حادث. (البغدادي ، الفرقُ بين الفِرق،1977م ، ص 199، 200).

و تنسب الجهمية لجهم بن صفوان وهو أحد المبتدعة الكبار ، والجهمية يردون الأحاديث الثابتة وينفون صفات الله تعالى وينفون الرؤية ولهم عقائد أخرى مخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة.

أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية. وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء، منها قوله: لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه، لأن ذلك يقضي تشبيهاً، فنفي كونه حياً عالماً، وأثبت كونه قادراً، فاعلاً، خالقاً؛ لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة، والفعل، والخلق.(الشهرستاني،1431ه، 86/1).

ووصف الدارمي علماء الكلام بأنهم ظهروا حيث قلت الفقهاء ، وقبض العلماء ، ودعا إلى البدعِ دعاة الضلال ، فشد ذلك طمع كل متعوذ في الإسلام ، من أبناء اليهود والنصارى وأَنباط العراقِ ، ووجدوا فرصة للكلام ، فجدوا في هدم الإسلام ، وتعطيل ذي الجلال والإكرام ، وَإنكار صفَاته ، وتكذيب رسله ، وإبطال وحيه إِذْ وجدوا فرصتهم ، وَأَحسوا من الرعاعِ جهلاً ، ومن العلماء قلة ، فنصبوا عندها الكفر للناس إماما يدعونهم إليه ، وأظهروا لهم أغلوطات من المسائل ، وعمايات من الكلام ، يُغالطون بها أَهل الإِسلام ، ليوقعوا في قلوبهم الشك ، ويلبسوا عليهم أَمرهم ، ويشككوهم في خالقهم ، مقتدين بأئِمتِهم الأقدمين ، الذين قالوا : ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ وَ ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ (الدارمي 1995م ،ص22).

ويقول عنهم الدارمي (فحين رأينا ذلك منهم ، وفطنا لمذهبهم، وما يقصِدون إليه من الكفر وإبطال الكتب والرسل ، ونفيِ الكلام والعلم والْأمر عن الله تعالى ، رأينا أن نبين من مذاهبهم رسوماً من الكتاب والسنة وكلام العلماء ، ما يستدل به أهل الغفلة من الناس على سوء مذهبهم ، فيحذروهم

على أنفسهم وعلى أولادهم وأهليهم ، ويجتهِدوا في الرد عليهم ، محتسبين منافحين عن دين الله تعالى ، طالبين به ما عند الله ... وقد كان من مضى من السلف يكرهون الخوض في هذا وما أشبهه ، وقد كانوا رزقوا العافية منهم ، وابتلينا بهم عند دروس الْإسلام ، وذهاب العلماء ، فلم نجد بُدّا من أن نرد ما أتوا به من الباطل بالحق ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ما أشبه هذا على أُمته ، ويحذرها إياهم ، ثم الصحابة بعده والتابعون ، مخافة أَن يتكلموا في الله وفي القرآنِ بأهوائهم فيضلوا ، ويتماروا به على جهل فيكفروا ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : " المراء في القرآن كفر " وحتى إِن بعضهم كانوا يتّقون تفسيره ، لأن القائل فيه إنما يقول على اللَه.) (الدارمي 1995م ،ص22).

وقد أفضى بالمعتزلة إلى أنهم قالوا إن الله عز وجل يعلم مجمل الأشياء ولا يعلم تفاصيلها وقال جهم بن صفوان علم الله وقدرته وحياته محدثة. (ابن الجوزي، د.ت ،ج1 ،75).

لقد ضل علماء الكلام وأضلوا غيرهم في تأويلهم لآيات الله، رغم أن بعضهم في نهاية حياته تاب ورجع إلى أهل السنة ، فقد ذكر ابن الجوزي أن الوليد بن أبان الكرابيسي لما حضرته الوفاة قال لبنيه تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني ؟ قالوا : لا ، قال : فتتهمونني ؟ قالوا : لا ، قال : فإني أوصيكم ، أتقبلون ؟ قالوا : نعم، قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث ؛ فإني رأيت الحق معهم. وكان أبو المعالي الجويني يقول : رجعت عن الكل إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز فإن لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجويني وكان يقول لأصحابه : يا أصحابنا ، لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به . (ابن الجوزي، د.ت ،ج1،ص 76 ،77).

وقال أبو الوفاء بن عقيل لبعض أصحابه : أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن ، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت . قال : وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك ، وكثير منهم إلى الإلحاد تشم روائح الإلحاد من فلتات كلام المتكلمين وأصل ذلك أنهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع وطلبوا الحقائق وليس في قوة العقل إدراك ما عند الله من الحكمة التي انفرد بها ، ولا أخرج الباري من علمه لخلقه ما علمه هو من حقائق الأمور. (ابن الجوزي، د.ت ،ج1،76 ،77).

ذكر الله خلق السموات والأرض ثم فرع على ذلك كونه عالماً ، فثبت بهذا أن قول المتكلمين في هذا الاستدلال مطابق للقرآن. وثانيها : فساد قول المعتزلة وذلك لأنه سبحانه وتعالى بيّن أن الخالق

للشيء على سبيل التقدير والتحديد لا بد وأن يكون عالماً به وبتفاصيله ؛ لأن خالقه قد خصه بقدر دون قدر والتخصيص بقدر معين لا بد وأن يكون بإرادة وإلا فقد حصل الرجحان من غير مرجح ، والإرادة مشروطة بالعلم فثبت أن خالق الشيء لا بد وأن يكون عالماً به على سبيل التفصيل. فلو كان العبد موجداً لأفعال نفسه لكان عالماً بها وبتفاصيلها في العدد والكمية والكيفية فلما لم يحصل هذا العلم علمنا أنه غير موجد نفسه. وثالثها : قالت المعتزلة : إذا جمعت بين هذه الآية وبين قوله : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف ، الآية 76] ظهر أنه تعالى عالم بذاته ، والجواب : قوله تعالى : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ عام وقوله ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء ، الآية 166]خاص والخاص مقدم على العام. واللّه تعالى أعلم. (فخر الدين الرازي (مفاتيح الغيب ،2000، ج 2 ، ص 383).

وقد قال أبو حاتم وغيره من علماء السلف: علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية؛ يريدون إبطال الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة ونابتة، ومن نظر في كتب أهل البدع من المتقدمين منهم والمتأخرين؛ علم صدق ما قاله أبو حاتم رحمه الله؛ فكتب الكوثري والسقاف وأضربهما من الجهمية مليئة بسب علماء السلف، ورميهم بالتجسيم، ووصفهم بالحشوية ونحو ذلك. (موسوعة الرد على الصوفية، ج2، ص46).

إن حمل اللفظ على غير ظاهره لا لدليل: فهذا لا يسمى تأويلاً في الاصطلاح ، بل يسمى لعباً ؛ لأنه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ومن هذا تفسير غلاة الروافض قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة ، الآية 67] قالوا عن البقرة إنها عائشة. ومن هذا النوع صرف آيات الصفات عن ظواهرها إلى محتملات ما أنزل الله بها من سلطان ، كقولهم : استوى بمعنى استولى ، فهذا لا يدخل في اسم التأويل ؛ لأنه لا دليل عليه البتة ، وإنما يسمى في اصطلاح أهل الأصول لعباً ؛ لأنه تلاعب بكتاب الله جل وعلا من غير دليل لا يجوز لأنه تهجم على كلام رب العالمين. والقاعدة المعروفة عند علماء السلف أنه لا يجوز صرف شيء من كتاب الله ولا سنة رسوله عن ظاهره المتبادر منه إلا بدليل يجب الرجوع إليه.

وعلى المسلم أن يتجنب أقوال الجهمية ومن على شاكلتهم ، والاقتداء بالصحابة والتابعين كما قال أبو بكر الصديق رضي اللهُ عنه : " أَي أَرض تقلنِي ، وأَي سماءٍ تظلني ، إِذَا قلت في كلام الله ما لا أَعلم ، فهذَا الصديقُ خيرُ هذه الأمة بعد نبيها ، والخَلِيفة بعده ، قد شهِد التنزيل ، وعاين الرسول صل الله عليه وسلم، وعلم فيما أنزِل القرآن ، إِلَا ما شاء اللهُ ، ويتوقى أَن يقول في القرآن ، مخافة أن لا

يصيب ما عنى الله فيهلِك ، ثمّ عبيدة السلمَانِي بعده ، وكان من كبار التابعين ، فكيف بهؤلاء المنسلخين من الدين والعلم ، الذين ينقضونه نقضاً ، ويفسّرونه بأهوائهم خلاف ما عنى الله ، وخلاف ما تحتمله لغات العرب. ولقد قال بعض أَهل العلم : لا تهلك هذه الأُمة حتى تظهر فيهم الزندقة ، ويتكلموا في الرب تبارك وتعالى.) (الدارمي 1995م ،ص24).

علم الله عند أهل السنة والجماعة[1]

إن السلف رضوان الله تعالى عليهم لا يدخلون أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، ونهوا عن تأويلات الجهمية ، وردوها و أبطلوها وخاصة تلك التي أدت إلى تعطيل النصوص عما دلت عليه ، ونصوص أحمد والائمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص علي ما دلت عليه من معناها ، ويفهمون منه ما دلت عليه ، كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد.

إن الله عصم أهل السنة والجماعة بسبب تمسكهم بالكتاب والسنة، فكانوا هم الفرقة الناجية(صوفي ،2004م)، لذلك لا يفصلون بين الاسم والمسمى .

أهل السنة والجماعة الذين قالوا بأن الاسم هو المسمى، لا ينازعون في أن الاسم غير المسمى من جهة أن الأسماء أقوال، وأنها ليست هي المسميات فهذا لا ينازع فيه أحد من العقلاء، لكنهم قالوا ذلك (أي أن الاسم هو المسمى) رداً على الجهمية والمعتزلة الذين قالوا: إن الاسم غير المسمى، ويقصدون أن أسماء الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق، وأن الله كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه أسماء، وهذا كله من الباطل المعلوم شرعاً وعقلاً.

إن اهل السنة يؤمنون بكل صفات الله سبحانه وتعالى(والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ما سمى منه جحداً ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقاً ؛ لأن الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمى قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء ، الآية 115]وهب الله لنا ولكم حكماً وألحقنا بالصالحين). (بن بطة العكبري ، د.ت، ص69.).

يعتقد السلف أن القدر عبارة عن علم الله الشامل لجميع الموجودات وتقديرها جملة وتفصيلاً ، أي تحديدها ذاتاً وصفة ، زماناً ومكاناً ، كمّاً وكيفية ، ماهية وخاصية ونوعاً ، ثم كتابة ذلك كله في

[1] - أهل الحق: القوم الذين أضافوا أنفسهم إلى ما هو الحق عند ربهم، وبالحجج والبراهين، يعني أهل السنة والجماعة. ينظر (علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، ت جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان، ط1، 1403 هـ، ص40)

أم الكتاب قبل خلق السماوات والأرضين بخمسين ألف سنة كما نص على ذلك الحديث الشريف فيما رواه مسلم وغيره كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرضين بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء، قال أبو حازم رحمه الله : إن الله عز وجل علم قبل أن يكتب ، وكتب قبل أن يخلق ، فمضى الخلق على علم الله وكتابه. (بن بطة العكبري ، د.ت، ص4).

إن أهل السنة لا ينكرون ما وصف الله به نفسه، ولا ما ذكره رسول الله صل الله عليه وسلم عن ربه ؛ ففي ما يتعلق برؤية الله سبحانه وتعالى قال عنهم عبد الله الحمبلي: (فأما الجهمي الملعون الذي قد غلب على قلبه الرين، ومنع العصمة، وحيل بينه وبين التوفيق، فإنه يجحد ذلك كله وينكره ويعرض عنه ويتخذه هزوا فهو من الذين قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾[لقمان ، الآية ، 7] .

أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة ، ولم يكيفوا شيئاً منها ، وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا : من أقر بها فهو مشبه ، فسماهم من أقر بها معطلة. فهذا هو الحافظ ابن حجر – رحمه الله – ينقل عن الإمام الترمذي ، وعن الإمام الحافظ ابن عبد البر – رحمهما الله – وأقرهم على أن الجهمية والمعتزلة والخوارج منذ عهد قديم كانوا يسمون أهل السنة والجماعة (مشبهة) زوراً وبهتاناً ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة البروج، الآية 8] فيثبتون لله ما أثبته لنفسه من صفات الجلال والكمال ، والمقصود أن هذه المصطلحات لم يخترعها كتاب المقالات المعاصرون من المبتدعة الغالين وإنما هو مصطلح قديم يستخدمه المبتدعة، يموهون به على عامة المسلمين ويقصدون به أهل السنة والجماعة. إن لأهل البدع علامات يُعرفون بها ، فعلامة أهل البدعة الوقيعة في أهل الأثر ، وعلامة الزنادقة ، تسميتهم أهل الأثر بالحشوية ، ويريدون إبطال الآثار ، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة ، ولا اسم لهم إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث ، ولا يلتصق بهم ما لقبهم به أهل البدع ، كما لم يلتصق بالنبي – صلى الله عليه وسلم – تسمية كفار مكة ساحراً ، وشاعراً ومجنوناً ومفتوناً وكاهناً ، ولم يكن اسمه عند الله وعند ملائكته وعند إنسه وجنه وسائر خلقه إلا رسولاً نبياً ، بريأً من العاهات كلها. (موسوعة الرد على الصوفية، ج2، ص98).

فماذا سوف يقول مبتدعة عصرنا في جميع هؤلاء ؟، سيقولون إنهم – جميعا – حشوية ، مشبهة ، وهابية، لئن قالوا ذلك فإنهم حينئذ سوف يحكمون على أنفسهم في ملأ المسلمين بأنهم مبتدعة، ولا غرابة أن يقولوا ذلك ؛ فإن أول من تكلم بمصطلح [حشوية] – كما يذكر المؤرخون – هو عمرو بن

عبيد المعتزلي ، فقد قال : كان عبد الله بن عمر حشوياً ، فأطلق المعتزلة هذا الاسم على أهل السنة تبعاً لإطلاقهم له على هذا الصحابي الجليل – رضي الله عنه وأرضاه ، من الإنصاف القول لقد كانت مصطلحات زنادقة القرون الأولى ومبتدعتهم في التنفير من أهل السنة والجماعة [حشوية ، مشبهة ، مجسمة ، نابتة ، جبرية الخ ، وهي ذاتها المصطلحات التي يرددها المعاصرون منهم بدون خوف من الله ولا حياء. (موسوعة الرد على الصوفية، ج2، ص98).

لقد مارس هؤلاء المخالفون من غلاة أهل البدع كثيراً من الشغب على أهل السنة والجماعة في مسائل كثيرة ، بعضها في أصول الديانة ، وهي المسائل العقائدية بزعمهم أن من يسمونهم بالحشوية والوهابية والمشبهة هم غير الأئمة الأربعة الذين تلقتهم الأمة بالقبول وأتباعهم .ثم يلصقون تهمة الحشو والتشبيه بكل سني يدعو إلى السنة ويعلمها للناس ، خاصة إذا اختلف هذا الداعية مع أحد هؤلاء المبتدعة في أصل أو فرع ليخلق – بزعمه – حاجزاً نفسياً يحول بين طلاب الحق ، ومحبي السنة النبوية من النظر بتجرد وإخلاص في آراء الدعاة إلى السنة الذين يمثلون المنهج النبوي النقي المتمثل في قوله – عليه الصلاة والسلام - : (فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة» 1) ، والذين هم – في الحقيقة – امتداد حي للقرون الفاضلة المشهود لها بالخيرية ، وهيهات أن يفلح أعداء الله ورسوله ، فإن للحق نوراً ، وللسنة ضياءاً ، ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف ،الآية 8].

فالمؤمنون أهل السنة أعمالهم خالصة لله – تعالى - ، موافقة للسنة ، وأعمال مخالفيهم لا خالصة ولا صواب ، بل بدعة واتباع الهوى ، ولهذا يسمون " أهل البدع والأهواء " ، فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم ؛ لأن الكفر حكم شرعي ، فليس للإنسان أن يعاقب عليه ، كمن كذب عليك ، وزنى بأهلك ، ليس لك أن تكذب عليه ، وتزني بأهله ، لأن الكذب والزنا حرام ؛ وكذلك التكفير حق لله ، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله . (موسوعة الرد على الصوفية، ج3، ص106).

وقالت الجهمية لمن قال: إن الله لم يزل بأسمائه وصفاته: قالوا بقول النصارى حيث جعلوا معه غيره. فأجابوا (أي أهل السنة): بأنا نقول إنه واحد بأسمائه وصفاته، فلا نصف إلا واحداً بصفاته كما قال تعالى : ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر ،الآية 11] وصفه بالوحدة مع أنه كان له لسان، وعينان، وأذنان، وسمع، وبصر، ولم يخرج بهذه الصفات عن كونه واحد، ولله المثل الأعلى .

1 رواه ابن ماجه ، حديث رقم 42.

وقال الشافعي: من حلف باسم من أسماء الله فحنث فعليه الكفارة، لأن اسم الله غير مخلوق، ومن حلف بالكعبة أو بالصفا والمروة فليس عليه الكفارة، لأنه مخلوق، وذاك غير مخلوق

والواجب على جميع المسلمين أن لا يتكلموا إلا بما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وترك الألفاظ المحدثة التي تورث الشبه والشكوك، فلو كان فيها خير للأمة؛ لتكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم، ولنشرها أصحابه من بعده؛ فإنهم أحرص الناس على الخير، فلما لم يتكلموا فيها لا نفياً ولا إثباتاً؛ علم أن الكلام فيها بدعة وضلالة وإحداث في الدين ما ليس منه.

وختاماً ، أسأل الله ـ عز وجل ـ أن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا ، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يوفقنا للعلم والعمل بكتابه وسنة رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على منهاج النبوة ، وأن يهدي المسلمين أجمعين ، وأن ينصر الإسلام ويعز أهله ، ويهزم الكفر ويذل أهله ، وأن يرزقنا الإخلاص في العلم والقول والعمل ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الخاتمة

العلم صفة من صفات الله – عز وجل – ومن أسمائه الحسنى: "العليم" يُدعى به، ويتعبد له به، وهو سبحانه علام الغيوب، ولهذا يقول النبيون يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة ، الآية 109]أن علم الله – سبحانه وتعالى – غير مسبوق بجهل، بل عليم منذ الأزل، و علمه سبحانه صفة لذاته وأوليته، لم يخفَ عليه شيء قبل أن يخلق خلقه، وعلم سبحانه ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، فهو يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن، لو كان كيف يكون . وأن الله عالم عليم يعلم الكل والجزء، وما ظهر وما بطن، خلافاً لما يراه الفلاسفة والجاحدون لعلم الله وقدرته ، وعلى المسلم أن يحذر مما يعتقده المبتدعة وأصحاب الضلال كالجهمية ومن شابههم.

التوصيات

- يجب على المسلمين الإيمان بالله ومعرفته وتوحيده ، والإيمان بأسماء الله وصفاته كما وصف بها نفسه دون تشبيه أو تجسيم أو تعطيل.
- أوصيكم ونفسي بتقوى الله والالتزام بآيات الله ومن بينها:

الأولى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. فتنزهوا رب السموات والأرض عن مشابهة الخلق.

الثانية: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. فتؤمنوا بصفات الجلال والكمال الثابتة بالكتاب والسنة على أساس

التنزيه كما جاء.

الثالثة: أن تقطعوا أطماعكم عن إدراك حقيقة الكيفية ؛ لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل ، وهذا نص الله تعالى في قوله : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه ،الآية 20]

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الرازي ، فخر الدين. محمد بن عمر بن الحسين أبو عبد الله الرازي ، 2000م، التفسير الكبير، المسمى (مفاتيح الغيب)، بيروت، لبنان، ط1، دار الكتب العلميّة.
- ابن الجوزي ، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى : 597هـ)، تلبيس إبليس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/ 2001م .
- ابن الجوزي ،جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ،زاد المسير في علم التفسير.
- ابن القيم ،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، بدائع الفوائد ، دار الكتاب العربي،1431 هـ ، بيروت، لبنان.
- ابن تيمية ،تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ)، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، مكتبة دار البيان، دمشق، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، 1985.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط1419،1999،1 هـ.
- أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت 1376هـ)، تفسير أسماء الله الحسنى ،ت عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1421هـ.
- أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت 307 هـ)، مسند أبي يعلى، تحقيق، حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث – دمشق، ط1، 1403 هـ – 1984.
- التميمي ، محمد بن خليفة بن علي التميمي، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، ، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ/1999 م ، مؤسسة الرسالة ،ت عبد الحسين المبارك، 1463 هـ.
- الجرجاني ،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، كتاب التعريفات، ت جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان، ط1، 1403 هـ، ص40)
- الدارمي ،عثمان بن سعيد الدارمي أبو سعيد (ت : 280هـ) ، الرد على الجهمية، دار ابن الأثير، تح، بدر بن

عبد الله البدر، ط2، 1416هـ - 1995م ،الكويت.

- الزجاج ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، تفسير أسماء الله الحسنى، ت أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية،1431.

- الزجاجي ،عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت 337هـ)، اشتقاق أسماء الله.

- الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت 548هـ)، الملل والنحل ،مؤسسة الحلبي،1431 هـ.

- الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت 1250هـ) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ.

- بن بطة العكبري ،أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي [304هـ - 387هـ]،الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تح عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، دار الراية للنشر ،السعودية .

- سنكلجي، شريعت سنكلجي ، توحيد العبادة ، المتوفى سنة (1363هـ) ،تحقيق : خالد بن محمد البديوي، ترجمة: عبد الله جمعة البلوشي ، ج1 .

- صوفي ،عبد القادر بن محمد عطا صوفي ،أثر الملل والنحل القديمة في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،2004م.

- مجموعة من العلماء ، موسوعة الرد على الصوفية، المكتبة الشاملة ، اصدار 3.5.

- مسلم ،أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، (206 - 261 هـ) تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي - القاهرة .

- البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (ت 429هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة – بيرو،ط2، 1977م.

- القحطاني ،سعيد بن علي بن وهف القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة ،مطبعة سفير، الرياض،1433 هـ.